

وقفه دلالية بين معجم المقاييس لابن فارس وبين معجم العباب الزاخر للصّاغاني

An indicative pause between Ibn Faris' Lexicon of Standards and the rich dictionary of al-Abab by al-Saghani

أ-بوزيان غنام^{1*}، أ-سعاد بسناسي²¹ جامعة وهران -، (الجزائر)، ghenam48@yahoo.fr² جامعة وهران -، (الجزائر)، besnacisouad@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/09/19

تاريخ الإيداع: 2021/08/10

ملخص:

تعلّق البحث بدراسة جانب من الجوانب المهمّة في الدّرس اللّغوي وهو جانب الدّلالة الاشتقاقية وكيف تناولها معجمان من أهم المعاجم العربيّة، معجم المقاييس لابن فارس (ت 390 هـ) الذي استطاع بعقليّته اللّغويّة بلورة ما تناثر من أفكار لدى سابقيه وفي مؤلّفاتهم حول تلك الظّاهرة، ثمّ معجم العباب الزّاخر للصّاغاني الذي جاء بعد ابن فارس بفترة ليست وجيزة، وهذه الدّراسة تبرز قيمة الفكرة عند ابن فارس وأثرها فيمن جاء بعده، والوقوف -كذلك- على معالم التّأثير والإضافة عند الصّاغاني.

الكلمات المفتاحية: (دلالة-دلالة اشتقاقية- معجم)

Abstract:

The research focused on the study of an important aspect of the linguistics lesson, which is the aspect of etymological meaning, and how it was treated by two of the most important Arabic dictionaries, Ibn's Lexicon of Measures Faris (died 390 AH). which

With his linguistic mentality, he knew how to crystallize the ideas scattered by his predecessors and in their writings on this phenomenon, then the rich lexicon of Al-Abab by Al-Saghani which came shortly after Ibn Faris, and this study put highlight the value of Ibn Faris' idea and its impact on those who followed him, and stand -also- on the parameters of influence And addition according to Al-Saghani.

Key words: Denotation, etymology, lexicon.

تقديم:

يعدّ المستوى الدّلالي من أهمّ المستويات اللّغوية، وقد عني علماء العربيّة منذ القدم بهذا المستوى، وعملوا على كشف قيمته في الدّرس اللّغوي، وهم وإن لم يخصّوه بمؤلّفاتٍ مستقلّة، فإنّهم عرضوا له في كثير من مسائل بحثهم في معاني الألفاظ

* المؤلف المراسل.

ويمكن عدّ ابن فارس من اللّغويين الأوائل الذين اهتمّوا بإيجاد صلة بين المدلولات المختلفة للمادّة اللّغوية الواحدة، ومحاولة إرجاعها إلى أصولها وتوضيح هذه الصّلة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. حيث بنى معجماً متكاملًا يبحث في هذه الظّاهرة الدّلالية ويجمع شتاتها ويبيّن طرق انتقال المعنى، حيث كان عمله عملاً دلاليًا فريدًا من نوعه، إذ كان يجمع المدلولات المختلفة المتقاربة والمتباعدة ويبين طرق انتقال المعنى ومراحلها. وممّن هذا حذو ابن فارس في بناء معجمه على هذه الفكرة، الصّاغاني في معجمه الشّهير: "العباب الزّاهر واللبّاب الفاخر".

فلأهمية الفكرة ولكونها الأساس الذي بُني عليه المعجمين رأيت أن يكون موضوع بحثي متمحوراً على ذلك فجاء موسوماً:

وقفه دلالية بين معجم المقاييس لابن فارس (ت 390 هـ) وبين معجم العباب الزّاهر للصّاغاني (ت 650 هـ)

حيث يهدف البحث إلى إبراز فكرة الدّلالة الاشتقاقية في التّراث اللّغوي العربي، بخاصّة في مؤلّفين بارزين "معجم المقاييس ومعجم العباب"، والوقوف على جهد كل من ابن فارس والصّاغاني المتعلّق بهذه الفكرة، ورصد نقاط الاتّفاق والاختلاف بين عملي صاحبي معجمي المقاييس والعباب. ولتوضيح الفكرة أكثر لابد من بسط التعاريف التي تعتبر المرتكز الأساسي لهذا البحث:

- الدّلالة:

أ - لغة:

الدّلالة في اللّغة من قولهم: "دَلَّه على الشّيء يدُلُّه دَلًّا ودلالة فاندلّ: سدّده إليه ... والدّلّيل: ما يستدلّ به. والدّلّيل: الدّال. وقد دَلَّه على الطّريق يدُلُّه دَلّالة ودلولة والفتح أعلى ...¹ والدّلّالة بفتح الدّال وكسرهما بمعنًى واحد²."

"و دَلَّه على الصّراط المستقيم: أرشده إليه، وسدّده نحوه، وهده³"

و"الدّلّالة - بفتح الدّال، وكسرهما، وضمّها، والفتح أفصح - من:

(دَلّ - يدلّ)، إذا هدى، ومنه دليل، ودليليّ. والدّلّيليّ: العالم بالدّلّالة⁴"

فالمعنى اللّغوي للدّلّالة يوحي عند القدماء بالإرشاد، والهداية والتّسديد أو التّوجيه نحو الشّيء.

ب - اصطلاحاً:

قال (ابن سينا) في تحديد دلالة اللفظ: "ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلمة أوردته الحس على النفس التفتت إليه معناه" 5.

ولعل أقرب تحديد لها في تراثنا هو: "كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول" 6

هذا التحديد ينطبق على اللفظ وغيره 7 وبقية التحديدات للدلالة لا تخرج عن هذا المعنى العام بإضافة أنواع الدلالات عند البعض 8.

- الدلالة الاشتقاقية:

هي المعنى الذي جعل للمادة الاشتقاقية، مستمراً معها في مشتقاتها بتمامه أو نسبياً، حين يُتفرع عنه معنى متميزاً مستمراً هو أيضاً فيما صيغ منه من مشتقات، متحققاً في استعمالاتها تحققاً ملحوظاً 9.

نبذة عن معجم المقاييس:

هذا الكتاب يكاد يكون أعظم كتب ابن فارس، بل يكاد يكون أعظم معجم فيما ألف في اللغة العربية، حيث يتضمن منهجاً جديداً في التأليف المعجمي؛ إذ يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك قال عنه ياقوت الحموي: "كتاب جليل لم يُصنّف مثله" 10

والكتاب يضم في أعطافه وثناياه ما يهيب القارئ ملكة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها. بين ابن فارس في مقدمة الكتاب منهجه الذي سار عليه، ووضح بأنه منهج جديد خالف فيه أصحاب المعاجم الأخرى، ومع ذلك صرح بأنه اعتمد في تأليفه على كثير من علماء اللغة الذين سبقوه حيث قال: "... وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية، تحتوي أكثر اللغة. فاعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمى (كتاب العين) ... ومنها كتابا أبي عبيد في (غريب الحديث)، و (مصنف الغريب) ...

ومنها (كتاب المنطق) ... عن ابن السكيت. ومنها كتاب أبي بكر بن دريد المسمى

(الجمهرة) ... فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها، وراجع إليها؛ حتى إذا وقع الشيء النادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله" 11

وهو يقصد بذلك أنه إذا أخذ من غير هذه الكتب الخمسة ذكر المصدر أو صاحبه أو هما معاً فمن العلماء الذين ذكرهم ثعلب (ت 291 هـ)، والفراء (ت 207 هـ)، وابن الأعرابي (ت 231 هـ)، والكسائي (ت 198 هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت 215 هـ)، والأصمعي (ت 213 هـ)، وأبو عمرو الشيباني (ت 206 هـ) ... وغيرهم

والملاحظ هنا هو أنّ ابن فارس كان ذا موقف من مصادره الأساسية، وكان ذا منهج في الأخذ بها والاعتماد عليها فلم يكن كتابه – لذلك – نقلاً أميناً لأصوله بل كان مدوّنة معبّرة عن شخصية واضعها العلميّة، ولهذا يحقّ لنا أن ننسب إلى ابن فارس منهجاً خاصاً به في معالجة مسألة الأصول أو المقاييس يعبر عن رأيه الشخصي في ذلك.

نبذة عن معجم العباب الزّاخر واللّباب الفاخر للصّاغاني:

وأما كتاب "العباب الزّاخر واللّباب الفاخر" فقد ألفه للوزير الفاضل ابن العلقمي، إذ أوعز إليه أن يؤلّف كتاباً في لغة العرب. ويكون جامعاً لشتاتها وشواردها. حاوياً مشاهير لغاتها و أوابدها، مشتملاً على كلّ التّراكيب المستعملة. فقد جمع فيه ما تفرّق في كتب اللّغة المشهورة، وما بلغه ممّا جمعه علماء اللّغة الذين شافوها العرب، وساكنوهم، وسايروهم، ومن بعدهم ممن أدرك زمانهم.

وقد أتى فيه على عامّة ما نطقت به العرب من المستعمل والنّادر، مستشهداً على صحّة ذلك بالآيات، والأحاديث، والأشعار والأمثال.

وقد أحصى في مقدمته مائة وواحد (101) كتاب من أمّهات المراجع، حفظ – أيضاً – أسماءها ونصّ على نسبها إلى مصنّفها. وتعدّ هذه المدوّنة القيّمة، من فهارس التّراث المفيدة التي تؤرّخ الآثار الباقية في زمانه ممّا ضاع بعضه، عما أحاط به العباب من مادّتها اللّغويّة والأدبيّة التي فقدت المكتبة العربيّة نفائس أصولها¹²

منهج ومحتوى المقاييس والعباب:

أ- منهج ومحتوى معجم المقاييس:

1- مقدّمته:

استهلّ ابن فارس كتابه بمقدمة قصيرة، أخذت ثلاث صفحات من المطبوع أشار فيها إلى هدفه، ومنهجه في علاج المواد، ومراجعته، وبين أنّه رجع إلى خمسة كتب هي: كتاب العين للخليل، وإصلاح المنطق لابن السّكيت، والجمهرة لابن دريد، وغريب الحديث والغريب المصنّف لأبي عبيد، قال: "فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللّغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إلّها حتى إذا وقع الشّيء النّادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله"¹³.

2- منهجه:

اعتمد ابن فارس الطّريقة الألفبائية في ترتيب كتابه، فقسم معجمه إلى كتب بعدد حروف الهجاء، فكتاب للألف، وكتاب للباء وكتاب للتاء وهكذا... ثم قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب: هي الثّنائي المضاعف، والثلاثي وما زاد عن الثلاثي، فقد حافظ ابن فارس على نظام الأبنية الصّرفية الذي يعيق البحث عن الألفاظ، ولكنه سهّل بعض الشّيء في جعله يكتفي بثلاثة أبنية فقط، كما سهّل أيضاً طريقة الرجوع إلى كتابه بإلغائه مبدأ

التقاليب، عندما ذكر كل مادة في كتاب الحرف الأول من حروفها الأصول، فكلمة (شرب) مثلاً نجدتها عنده في كتاب الشين، وكلمة (برش) نجدتها في كتاب الباء، تبعاً لأبنيتها ثنائية كانت أم ثلاثية بينما نجد هذه الكلمات مع تقاليبها الأخرى تجتمع في كتاب العين وكتاب الجمهرة في مكان واحد لأخذها بمبدأ التقاليب.

كما أنه بدأ كل كتاب من كتب المقاييس بالحرف الذي يبدأ فيه مع الحرف الذي يليه مباشرة في الترتيب الهجائي، تاركاً ما قبله من حروف. ففي باب الدال مثلاً يترك ابن فارس الكلمات التي تبدأ بالدال مع الهمزة، والدال مع الباء والدال مع التاء، والدال مع الثاء والدال مع الجيم، والدال مع الحاء، والدال مع الخاء، ويبدأ مباشرة بشرح الكلمات التي تبدأ بالدال مع الدال، ثم الدال مع الزاء، ثم الدال مع الزاء، وهكذا حتى إذا ما انتهى من جميع الحروف عاد إلى الأبواب المتروكة السابقة الذكر، فشرحها، وهذا منهج جديد انتهجه ابن فارس. وأهمل ابن فارس الترتيب في أبواب ما زاد على ثلاثة أصول، مكتفياً بأن تبدأ الكلمات بالحرف المعقود له كل باب ولا اهتمام عنده بما بعد الحرف الأول. ولكنه قد يجمع بعض الألفاظ المتصلة برابطة اشتقاقية معينة ويفصلها عن مجموعات أخرى، مثل الألفاظ المنحوتة من لفظين، أو الثلاثية المزيد عليها حرف أو حرفان أو الموضوع أصلاً على أكثر من ثلاثة حروف أصلية. فيجمع كل نوع من هذه الثلاثة على حدة مع ترتيب الألفاظ في داخل كل منها. وخلط في هذه الأبواب جميعها الرباعي والخماسي ولم يفرق بينهما أبداً.

3- خصائص معجم المقاييس: يمتاز المقاييس بفكرته المتميزة عن بقية المعاجم بخصائص انفرادية، نبيتها

فيما يلي:

- الأصول: كان لابن فارس في وضع معجمه غايات مقصودة مثلما فعل سابقوه من المعجميين ويبدو لنا أنه كان صاحب رؤية قد سعى إلى صوغها. وقد بنى ابن فارس رؤيته على مصطلحات مفاتيح أشار إليها هو بنفسه وهو حسب علمنا أول من وجّه المعجم العربي هذه الوجهة المتعلقة بالمعنى وأسسها. وهي من أعوص القضايا لأتمها لم تحظ إلى يومنا هذا بنظام¹⁴ يحيط بها ويشملها ويحلّ ألغازها مثلما هو الشأن في النظام الصوتي أو الصّرفي أو النحوي.

حيث تبرز رؤية ابن فارس في هذا الموضوع من خلال ثلاثة مفاهيم لا نجد لها أثراً في مقدمة معجمه. وهي "الأصول" والفروع "و" المقاييس "وهي تكون سلسلة، عناصرها مترابطة متفاعلة. فكيف الوصول إلى أبعادها وبالتالي بلوغ مقاصد رؤية ابن فارس في أسس المعنى؟ رأينا أن المسألة تستوجب المقاربة من جهتين:

- البحث عن مفاهيم "الأصول" و"الفروع" و"المقاييس" من مداخل "أصل" و"فرع" و"قوس" في أماكنها من معجم المقاييس لابن فارس نفسه. - تتبّع استعمالاتها في المتن باعتبار عيّينات عديدة، إن لم نقل مسح المعجم نفسه وبرمته إحصاءاً ومقارنةً للخروج برأي موضوعي مدعم في هذا الشأن لأن القضية قضية أساسية، ولأن ابن فارس أراد أن يضع نظرية كلية وليست مجرد "تفلسف" عمادها المعنى¹⁵ وما أدراك ما المعنى قديماً وحديثاً. لاسيما وأنه لم يتعرّض له نظرياً معجم عربي واحد حتى زماننا هذا. وعلى هذا الأساس فما تقول المداخل الثلاثة ؟

ففي (أ.ص.ل) قال: "الهمزة والصاد واللام ثلاثة أصول متباعد بعضها عن بعض أحدها: أساس الشيء، والثاني الحية، والثالث ما كان من النهار بعد العشي... " 16

وفي (ف.ر.ع) قال: "الفاء والراء والعين أصل صحيح يدلّ على علوّ وارتفاع وسموّ وسبوغ، من ذلك الفرع وهو أعلى الشيء... ورجل مفرّج الكتف أي ناشزها ويقال عريضها ومما يقارب هذا القياس وليس هو بعينه، والمفرّج: أول نتاج الإبل والغنم " 17.

أمّا في (ق.و.س) فقال: "القاف والواو والسين أصل واحد يدلّ على تقدير شيء بشيء ثم يصرف فتقلب واوه ياء، والمعنى في جمعيه واحد. فالقوس الدّراع، وسمّيت بذلك لأنّه يقدر بها المذروع. وبها سمّيت القوس التي يرمي بها عنها 18. قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ 19، ومنه القياس وهو تقدير الشيء بالشيء والمقدار مقياس تقول: قايست الأمرين مُقايِسةً وقياساً... " 20

فيبدو أنّ في هذه النصوص الكفاية للتعريف بالمصطلحات اللسانية المعجمية المفاتيح الثلاثة: فالأصل لغة هو أساس الشيء وأسفله وبدايته ومحسوسه وحقيقته وطبيعته الخام الأولى، قبل أن يتغيّر أو يتفرّع. فهو يعرف بذاته وبضدّه وهو الفرع.

أما مصطلح الفرع " فيفيد العلو والارتفاع والتّسّير والنتاج أي أنّه بمثابة الغصن من الجذر الأم، وبالمولود الجديد من أم وأب أي من أصلين فأكثر ويتفرّع إلى فروع كثيرة ومتخالفة لكنّها مقيسة. فإن كان أصله واحداً أو "أصيلاً" كان فرعاً أو نصّه قصيراً.

فإن كان أصله ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً، وقد سمّاه "أصيلاً كبيراً" كانت فروعاً أو نصوصه طويلة وكثيرة.

بقي مصطلح "المقاييس" جمع مقياس. وهو اسم الآلة أو المعيار الذي يقاس به. وقد عبّر عنه بالفعل "يقاس" و"ولا يقاس" و"بالقياس" و"الانقياس" أيضاً. فهو يفيد أساساً تقدير الأصل في حدّ ذاته أو تقدير أصل بأصل ومعنى بمعنى ما دامت هناك أصول عدّة، وفرع بفرع ما دامت الفروع كثيرة فتقدير المقاييس يفيد قياس كيفية صلة أصل بأصل وكيفية صلة معناه بمعنى غيره.

فأصل (أ.ر.ق) أصل واحد لا يقاس عليه ولا يتفرّع منه " 21.

أمّا (أ.ج.ل) فإنّه "يدلّ على خمس كلمات متباينة لا يكاد يمكن حمل واحدة على واحدة من جهة القياس فكل واحدة أصل في نفسها وربّك يفعل ما يشاء " 22

وكذلك الشأن بالنسبة للفروع "الهمزة والدال واللام أصل واحد. يتفرّع منه كلمتان متقاربتان في المعنى، متباعدتان في الظاهر " 23.

فالمقياس هو المعيار أو الصّفة التي تربط أصل بأصل أو فرع بفرع. فمفهوم المقاييس جمع مقياس أي مواصفات صلات معاني الأصول أو الفروع بعضها ببعض.

ولقد سعى ابن فارس إلى أن يستقرأها من خلال الاستعمال طمعاً في تصنيفها وتبويبها لوضع قاعدة كليّة تُعتمد. فذكر منها المتقاربة، والمتباعدة والمتباينة والمتنافرة والمشكوك فيها والمعربة والمبدلة 24

والمقلوبة 25، والمنحوتة والمهمة وبخاصة الموضوعة. فهو يدعونا إلى وضع قائمة مصتفة من مقاييس المعاني ومواصفاتها المتعددة و"الموضوعة" ويعني بها الاعتبارية التي لا يجد لها تفسيراً 26.

ولقد أطلق ابن فارس "المقاييس" على معجمه، لأنه كان يبحث عن الآلية التي تمكّنه في نهاية الأمر من أن يقرّ الصّلات بين الأصول ذاتها وبينها وبين الفروع نفسها، بحثاً عن نظام كليّ يحيط بها. وبالمعنى في كليته مهما كان مقياسه. فهل وُفق إلى ذلك؟ القضية ما زالت قائمة في علم التأصيل في كل اللغات؟ الأمر يستند على دراسة ميدانية مطبقة على معجم المقاييس كلّ لتبرير ذلك. المهم هو عنايته بالقضية والمبادرة برؤية تشملها وتحيط بها. لهذا أدار ابن فارس المادة كلّها على أصل واحد أو أصليين أحياناً أو ثلاثة وقد يزيد إلى أربعة أو خمسة.

ب- منهج ومحتوى معجم العباب للصاغاني:

كان المؤلف يرمي في كتابه إلى الجمع والتّصحيح 27، كما كان هدف معجمي القرن الرابع ويظهر هذا الهدف واضحاً في قوله في المقدمة: "هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق من كتب اللّغة المشهورة والتّصانيف المعتمدة المذكورة وما بلغني ممّا جمعه علماء هذا الشّأن والقدمات الذين شافهوا العرب العرباء وساكنوها في داراتهم وسايروها في نقلها من مورد إلى مورد، ومن منهل إلى منهل، ومن منتجع إلى منتجع... أتيا على عامّة ما نطقت به العرب خلا ما ذهب منها بذهاب أهلها من المستعمل الحاضر، والشّارد النّادر، مستشهداً على صحّة ذلك بأي من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..." 28

كما قال أيضاً: "وموجب ما ذكرت أتّي رأيته فيما جمع قبلي: أطلقوا في أغلب ما أوردوا، وربما أطلقوا لفظ الحديث على المثل، ولفظ المثل على الحديث، وربما قالوا وهو من صحاح الأحاديث" 48 وتبين هذه العبارة أنّ همة الصاغاني - الأعظم في التّصحيح، كان موجّهًا للشّواهد لا الألفاظ. حيث امتاز العباب من هذه النّاحية على بقية المعجمات العربية.

1- مقدمته:

تناول الصاغاني وصف العباب وجمعه للّغة، وشواهد وما يذكره فيه. ثم أفرد منها فصلين: أولهما "في معرفة أسامي جماعة من أهل اللّغة لا غنى لممارس هذا الكتاب وسائر كتب اللّغة عن معرفتها، فإنّ أهل اللّغة ذكروا بعضهم بكنائهم، وبعضهم بنسبهم، وبعضهم بحرفهم" وأوردهم مرتّبين وفقاً لحروف أسمائهم غير مراعاة ترتيب مواليدهم أو وفياتهم.

وراعى في الأسماء داخل الحروف، ترتيب حروف الاسم أيضاً. ووضع المؤلّف همة في ذكر اسم اللّغوي وأبيه وجده أحياناً، وكنيته ونسبته، ولم يتعرّض لميلاده أو لوفاته.

والفصل الثّاني: "في أسماء المراجع التي أفاد منها". وانتقل من هذين الفصلين إلى اسم الكتاب، وإهداءه إلى الوزير ابن العلقمي، وختمها بنقد بعض من قبله من اللّغويين ردّاً على من قد يعيبه مستقبلاً. 29

2- منهجه:

أشار حسين نصّار إلى أنّ الصاغاني اتّبع في ترتيب مواده، وتقسيم أبوابه وفصوله صحاح الجوهري، والتزمه بكلّ دقّة 30.

رتّب الصاغانى معجمه على حروف المعجم، واعتبار آخر حرف في الكلمة بدلا من الأول، وجعله الباب للحرف الأخير، والفصل للحرف الأول، فمادة (ب.د.أ) يُبحث عنها في باب الهمزة فصل الباء، ويذكر في الباب كل كلمة في اللغة وصلت إليه وصحّت لديه عروبتها الصّحيحة على أن تكون منتهية بحرفه، ويوزّع الكلمات على الفصول؛ وهي ثمانية وعشرون فصلا بعدد حروف المعجم كالأبواب.

ويحشد في الباب كل الكلمات التي تتفق في الحرف الأخير، فباب الألف المهموزة يذكر فيه الكلمات التي تنتهي بهمزة مثل: أجا - بأبا - تأتا - ثأثأ - جأجا... وهكذا حتى ينتهي إلى يأيا، وهذه المادة ينتهي الباب كلّها، ويسمّي المادة التي تبدأ في الباب بالحروف التي تبدأ بها فصلا، فمادة (أ.ج.أ) في فصل الألف المهموزة، ومادة (ب.أ.ب.أ) في فصل الباء، ومادة (ت.أ.ت.أ) في فصل التاء، ومادة (ث.أ.ث.أ) في فصل الثاء وهكذا يسير حسب ترتيب الحروف المعروف. وأفرد لكل حرف من حروف الهجاء بابا خاصا به.

ويذكر في الفصول الكلمات الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية، دون أن يرتّب ذلك على

نسق واحد دائما.

وأخذ الصاغانى بنظام آخر بعد أن قيّد نفسه بالباب والفصل، ألا وهو أن ينظر إلى الحرف الثاني والثالث في ترتيب الكلمات ويقدم ما كان حقّه التقديم فيجعل مثلا:

(ب.د.أ) - (ب.ذ.أ) - (ب.ر.أ) - (ب.س.أ) - (ب.ك.أ)... وهكذا.

ولا يكتفي بهذا في الثلاثي، بل يتبعه فيما زاد على الثلاثي كأن يكون رباعيا أو خماسيا، فيلتزم فيه - بعد

الباب والفصل - الحرف الثاني ثم الثالث ثم الرابع.

- خصائص معجم العباب: يميّز معجم العباب بجملة من الخصائص منها:

1- الشواهد:

لم يطل المؤلف في شرح الخطوات الأخرى من منهجه في مقدّمته سوى الشواهد، حيث عني بها عناية كبيرة وقال عنها: "... مستشهدا على صحّة ذلك بأي من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبغرائب أحاديث من هو بمعزل من خطّل القول وخلفه، فكلامه هو الحجّة القاطعة والبيّنة الساطعة، وبغرائب أحاديث صحابته الأخيار وتابعيهم الأخبار، وبكلام من له ذكر في حديث أو قصّة في خبر وهو عويص، وبالفصيح من الأشعار، والسائر من الأمثال ...

أتيا بالأشعار على الصّحة، غير مختلّة، ولا مغيرة، ولا مداخله، معزّوا ما عزوت منها إلى قائله، غير مقلد أحد من أرباب التصانيف وأصحاب التّأليف، لكنّ مراجعا دواوينهم معتاما أصحّ الروايات، مختارا أقوال المتقنين الثقات ...³¹ ويتبيّن لنا من ذلك فرط عنايته بها، وإحساسه بأهميتها.

2- أصول المادة:

ومن بين الخطوات التي زادها في منهجه هي محاولته في أكثر المواد أن يبيّن الدّلالة الاشتقاقية لها - نقلا

عن ابن فارس - فقد قال الصاغانى في مادة (ب.د.أ): " التّركيب يدلّ على افتتاح الشّيء " 32.

وفي مادة (ب.ذ.أ): " التّركيب يدلّ على خروج الشّيء عن طريقة الاحماد " 33

وقال في مادة (ب.ر.أ): "التركيب يدل على الخلق، وعلى التباعد عن الشيء ومزايته" 34

وكل ذلك بالنص في المقاييس، فالاتفاق يتجاوز العبارة إلى عدد الأصول.

وخلاصة القول أن العباب قد جمع خير ما في المعاجم التي قبله مادةً ومنهجاً، حيث سار في المنهج على

ترتيب الجوهري، وخطة ابن فارس في الأصول، وابن سيده في تقديم المجرد على المزيد. 35

ت- الموازنة بين معجم المقاييس ومعجم العباب:

أوجه الاتفاق:

- يتفقان من حيث الأصول، حيث إن كلاهما يجمع استعمالات المواد اللغوية تحت دلالة اشتقاقية.

- كما يتفقان في الأخذ عن بعض العلماء أمثال:

الأصمعي - ابن السكيت - ابن الأعرابي - أبو زيد - اللحياني - أبو عبيد... وغيرهم من اللغويين. إلا أن

الصاغاني يستقي مادته ويأخذ عن بعض العلماء لم نجد لهم أثر في معجم المقاييس وهذا دليل على أن

الصاغاني ينقل عن ابن فارس وبعده من اللغويين.

- كلاهما أهمل نظام التّقاليب.

أوجه الاختلاف:

يختلف الصاغاني عن ابن فارس من حيث المنهج في ترتيب المواد اللغوية في معجمه، فالصاغاني يعتمد

نظام التّفقية، أي اعتبار آخر حرف من الكلمة بدلا من الأول أما ابن فارس فقد اعتمد الطريقة الألفبائية.

أنماط معالجة المواد اللغوية في معجم المقاييس ومعجم العباب:

أ- أنماط معالجة مواد معجم المقاييس:

لقد بلغ ابن فارس الغاية في الحذق باللغة، وتكنه أسرارها، حيث كانت معالجة المواد اللغوية في معجمه،

كما يلي:

1- النص على الدلالة الاشتقاقية ثم معالجة استعمالاتها، ومن أمثلة ذلك:

(د.ن.ي):...أصل واحد يقاس بعضه على بعض، وهو المقاربة.

ومن ذلك الدنيء، وهو القريب، من دنا يدنو، وسميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دُنياوي والدنيء

من الرجال: الضعيف الدون، وهو من ذاك لأنه قريب المأخذ والمنزلة؛ ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما ...

والدنيئ: الدون، مهموز، يقال رجل دنيء.

وقد دنؤ يدنؤ دناءة، وهو من الباب أيضا لأنه قريب المنزلة؛ والأدنأ من الرجال:

الذي فيه انكباب على صدره، وهو من الباب لأن أعلاه دان من وسطه... 36

(ح.د.ق): "الحاء والدال والقاف أصل واحد، وهو الشيء يحيط بشيء. يُقال حذق القوم بالرجل

وأحدقوا به ... وحديقة العين من هذا، وهي السواد لأنها تحيط بالصبي، والجمع حدائق ... والتّحديق: شدة النظر،

والحديقة الأرض ذات الشجر والحديقة: الحدقة 37

فقد حدّد ابن فارس الدلالات الاشتقاقية لكلّ من المواد اللغوية (د.ن.ي)، (ح.د.ق)، ثم شرح بعض استعمالاتها وما تفرّع عنها من دلالات .

2 - النصّ على الدلالة الاشتقاقية بعد معالجة استعمالاتها: ومن أمثلة ذلك:

(أ.ت.ه): " الهمزة والتاء والهاء: يقال إنّ التأتّه الكبر والخيلاء. 38

ذكر ابن فارس استعمال واحد للمادة اللغوية (أ.ت.ه)، ثم حدّد الدلالة الاشتقاقية لهذه المادة وهي: الكبر والخيلاء.

3- النصّ على الدلالة الاشتقاقية أثناء معالجة استعمالاتها: ومن أمثلة ذلك:

(ب.ح.ر): " الباء والحاء والراء. قال الخليل: سمي البحر بحرًا لاستبحاره وهو انبساطه وسعته، واستبحر فلان في العلم، وتبحّر الرّاعي في رعي كثير ...

وتبحّر فلان في المال، ورجل بحرٌ إذا كان سخيًّا سمّوه لفيض كفه بالعطاء كما يفيض البحر... قال العامري: أبحر القوم إذا ركبوا البحر... قال أبو زيد بَحَرَتِ الإبل أكلت شجر البحر... وماءٌ بحرٌ أي ملحٌ... قال الفراء: البَحْرَةُ الرّوضة وقال الأموي: البحرة: البلدة ... قال بعضهم البَحْرَةُ الفجوة من الأرض تتسع... قال الزيايدي: البَحْرُ اصفرار اللون، والسَّحِير الذي يُشْتكى سَحْرَه.

فإن قال قائل: فأين هذا من الأصل الذي ذكرتموه في الاتساع والانبساط؟ قيل له:

كلّه محمول على البحر، لأنّ ماء البحر لا يُشرب، فإن شُرِب أورث داءً ومن هذا الباب الرّجل الباحر، وهو الأحمق، وذلك أنّه يتّسع بجهله فيما لا يتّسع فيه العاقل" 39.

لقد صرّح ابن فارس بالدلالة الاشتقاقية للمادة اللغوية (ب.ح.ر) وهي: الانبساط والاتساع، أثناء معالجته للاستعمالات المصوغة منها كما هو واضح.

4) -كما كان شرحه -ابن فارس- لاستعمالات بعض المواد شرحًا يوجي بالدلالة الاشتقاقية، دون تصريح بهذه الدلالة الاشتقاقية، ومن أمثلة ذلك:

(أ.ت.ي): " تقول أتاني فلان إتيانا وأتيا وأتية وأتوة واحدة... وحكى اللّحياني إتيانة. قال أبو زيد: يقال تني بفلان: اتّني به... وأتيت الأمر من مأتاه ومأتاته... قال الخليل: أتيت فلانا على أمره مؤتاة، وهو حسن المطاوعة... قال اللّحياني: ما أتيتنا حتى استأتيناك أي استبطأناك وسألناك الإتيان. ويقال تأتّ لهذا الأمر، أي ترفق له. والإيتاء الإعطاء...

قال الخليل: الأتيّ ما وقع في النّهر من خشب أو ورق ممّا يحبس الماء. تقول: أتّ لهذا الماء أي سهّل جريه. والأتي عند العامّة النّهر الذي يجري فيه الماء إلى الحوض... والأتيّ أيضا السّيل الذي يأتي من بلد غير بلدك ... وأتيت للماء تأتيةً إذ وجهت له مجرى.

اللّحياني: رجلٌ أتّي إذا كان نافذا. قال الخليل: رجلٌ أتّي أي غريب في قوم ليس منهم...

والاتاء: نماء الزّرع والنّخل، يقال نخلٌ ذو إتاء أي نماء. قال الفراء: أتت الأرض والنّخل أتوا وأتى الماء إتاء،

أي كثر" 40.

معالجة ابن فارس لهذه الاستعمالات المشتقة من المادة (أ.ت.ي) توحى بأن الدلالة الاشتقاقية لها هي: الرِّفْق والتسهيل.

ب- أنماط معالجة المواد اللغوية في معجم العباب:

يظهر من معالجة الصاغاني لمواد معجمه اقتصاره على النمط الثاني (النص على الدلالة الاشتقاقية بعد معالجة استعمالاتها) وكذا كان دأبه في جميع مواد معجمه ومن بين الأمثلة على ذلك: (ب.ذ.أ): "بَذَأْتُ الرَّجُلَ بَذْءً: إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُ حَالاً كَرِهْتَهَا. وَبَذَأْتُهُ عَيْنِي بَذْءً: إِذَا لَمْ تَقْبَلْهُ الْعَيْنُ وَلَمْ تُعْجِبْكَ مَرَاتُهُ. وَبَذَأْتُ الْأَرْضَ: دَمَمْتُ مَرْعَاهَا، وَكَذَلِكَ الْمَوْضِعُ: إِذَا لَمْ تَحْمَدْهُ، ... وَبَذَأْتُهُ مُبَادَاً وَبَذَاءً: فَاحْشَتْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَامِرِ بْنِ شَرَّاحِيلَ الشَّعْبِيِّ: إِذَا نَعِظَمْتُ الْحَلَقَةَ فَإِنَّمَا هِيَ بِذَاءٌ وَنِجَاءٌ ... وَالتَّرْكِيبُ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجِ الشَّيْءِ عَنْ طَرِيقَةِ الْإِحْمَادِ" 41.

(ج.س.أ): "الْجَنْبِيُّ: الْمَاءُ الْجَامِدُ. وَجَسَأَتْ يَدُهُ مِنَ الْعَمَلِ تَجَسُّاً جَسْئاً: صَلَبَتْ، وَالْجُسَاءُ مِثَالُ

الْجُرْعَةِ وَالْجُسَاءُ فِي الدَّوَابِّ: يُبْسُ الْمَعْطَفُ.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: جُسِئَتِ الْأَرْضُ فِيهِ مَجْسُوءَةٌ، مِنَ الْجَسْءِ: وَهُوَ الْجَلْدُ الْخَشَنُ الَّذِي يُشَبِّهُ الْحَصَى

الصِّغَارِ. وَالتَّرْكِيبُ يَدُلُّ عَلَى صِلَابَةٍ وَشِدَّةٍ 42.

فبعد أن يعالج الصاغاني استعمالات المواد اللغوية (ب.ذ.أ)، (ج.س.أ)، أو -بعضها- يصرِّح بالدلالات

الاشتقاقية لها. بعبارة: "والتَّرْكِيبُ يَدُلُّ عَلَى ..."

ج- الموازنة بينهما:

تجلي الأنماط الثلاثة عند ابن فارس في معجمه المقاييس، أما الصاغاني فقد اقتصر على تطبيق النمط

الثاني (النص على الدلالة الاشتقاقية بعد معالجة استعمالاتها) وكذا كان دأبه في جميع مواد معجمه.

خاتمة:

وخلاصة هذا كله أن ابن فارس اقتفى في عرضه للدلالات الاشتقاقية منهجاً شبه مطرد يتمثل في ذكر

حروف المادة اللغوية المعالجة، ثم النص على دلالتها الاشتقاقية ثم ذكر استعمالاتها، وشرحها جميعاً أو شرح

بعضها فقط- في ضوء هذه الدلالة الاشتقاقية، ثم تذييل الترجمة للمادة بذكر الاستعمالات التي شذت عن هذه

الدلالة، إن كان هناك ما شذ، وقد يجتري ابن فارس- أحياناً- بوضوح الدلالة الاشتقاقية لمادة لغوية ما عن

التصريح بها.

- وضوح صدى ابن فارس في جهد الصاغاني في معجمه العباب الزاخر واللباب الفاخر، حيث نقل عدد

من الدلالات الاشتقاقية لابن فارس نقلاً حرفياً، وذيل بها ترجماته للمواد اللغوية في معجمه.

- أن ثمة حاجة إلى إنشاء معجم اشتقاقي جديد للغة العربية يستفيد من جهد ابن فارس وغيره

- اختلف ابن فارس عن الصاغاني في أن ابن فارس قدّم الدلالة الاشتقاقية على الاستعمالات، في حين

أن الصاغاني يختم بها المادة بعد عرض استعمالاتها.

- إن ابن فارس والصاغانى ليعدّان في طليعة أولئك الذين عرضوا للدلالة، وإنّ الفضل يعود إليهما في فتح ذلك الباب الذي هداهما الله إليه. ذلك بالرغم من أنّهما لم يبلغا بذلك حدًا علميًا دقيقًا يصلح لأن يرقى بمذهبهما إلى مستوى القاعدة أو النظرية.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ لسان العرب، لابن منظور، دار صابر بيروت، د.ط-د.ت.، (د.ل.ل) 11: 248-249
- ² ينظر إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون دار المعارف - القاهرة، الطبعة 3 ص 111.
- ³ أساس البلاغة للزمخشري دار المعرفة، بيروت 1402 هـ - 1982. ص 134
- ⁴ ينظر التهذيب للأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت) (د.ط)، تحقيق يعقوب عبد النبي، مراجعة محمد علي التّجار (د.ل) 14: 66، وتاج اللغة للزبيدي (د.ل.ل).
- ⁵ عن علم الدلالة العربي، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1996. ص 14، 15، عن العبارة من (الشفاء) لابن سينا، 4.
- ⁶ ينظر التعريفات، للشريف الجرجاني، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية-مصر-1306هـ، ص 46.
- ⁷ كالإشارة، والعقد، والخط، والحال، يراجع: البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن لجو الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، د.ط-د.ت، 1: 76.
- ⁸ مثل: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت -لبنان، د.ت-د.ط.، مادة: (دل)، 246.
- ⁹ تناسل الدلالات الاشتقاقية للمادة الاشتقاقية، دكتوراه دولة، د. هيّ سنية، جامعة السانبا وهران، 2005-2006، ص 19.
- ¹⁰ معجم الأدباء 536/1.
- ¹¹ مقدمة معجم مقاييس اللغة: 9 / 1.
- ¹² ينظر مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الرابع والثلاثون شوال 1394 هـ -نومبر 1974 م د / ابراهيم انيس ص 88 - 89 - 90 - 91 - 92 - 93.
- ¹³ مقدمة معجم المقاييس لابن فارس: 1: 9.
- ¹⁴ محمد رشاد الحمزاوي: متى يصبح المعجم نظامًا؟ المعجم العربي. إشكالات ومقاربات بيت الحكمة، تونس 1991 م ص 309 - 335.
- ¹⁵ المعنى في المعجم، محمد ندوة كلية الآداب بمنوبة، 1992 م من 13 - 26 أبريل 1991 م).
- ¹⁶ المقاييس لابن فارس، (أ.ص.ل) 1: 109
- ¹⁷ ينظر نفسه، (ف.ر.ع) 2: 349.
- ¹⁸ جاء ذكر القياس والمقياس في مدخل قوس "إذ لا وجود لمدخل (قيس) فيه.
- ¹⁹ النّجم: 9
- ²⁰ المقاييس لابن فارس، 2: 377.
- ²¹ ينظر نفسه، (أ.ر.ق) 1: 79.
- ²² المقاييس لابن فارس (أ.ج.ل) 1: 64.
- ²³ ينظر نفسه، 1: 43.
- ²⁴ ينظر نفسه، حيث يقول أمع من (مع) كذلك (أهب) وهي حسبه من وهب.
- ²⁵ بخيخ ليست أصلا لأنها مقلوبة من خب.
- ²⁶ فلقد قال في هذا الشأن: "وذلك دليل أن كلام العرب موضوع وضعاً من غير قياس ولا اشتقاق."
- ²⁷ المعجم العربي: نشأته وتطوره، حسين نصّار 2: 530.
- ²⁸ مقدمة العباب للصاغانى، ص 02.
- ²⁹ ينظر المعجم العربي: نشأته وتطوره، حسين نصّار 2: 533.
- ³⁰ العباب للصاغانى، 2: 532.

³¹ مقدمة العباب للصاغاني، 1: 2-1.

³² نفسه، (د.ر.أ) 1: 53.

³³ نفسه، (ب.ذ.أ) 1: 24.

³⁴ نفسه، (ب.د.أ) 1: 22.

³⁵ المعجم العربي، حسين نصار 2: 543.

³⁶ المقاييس لابن فارس، (د.ن.ي) 1: 420.

³⁷ نفسه، (ح.د.ق) 1: 280.

³⁸ نفسه، (أ.ت.ه) 1: 33.

³⁹ المقاييس لابن فارس، (ب.ح.ر) 1: 107.

⁴⁰ ينظر نفسه، (أ.ت.ي) 1: 33.

⁴¹ ينظر معجم العباب للصاغاني، (ب.ذ.أ) 1: 24.

⁴² ينظر نفسه، (ج.س.أ) 1: 35.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

- أساس البلاغة، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1402 هـ - 1982.
- إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون دار المعارف القاهرة، ط: 3، د.ت.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن لجو الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، د.ط-د.ت
- التعريفات، للشريف الجرجاني، المطبعة الخيرية-مصر، ط: 1، 1306 هـ.
- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق يعقوب عبد النبي، مراجعة محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط - د.ت.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، للصاغاني، تحقيق: الدكتور: فير محمد حسن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط: 1، (1398-1978 م).
- علم الدلالة العربي، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1996.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صابر بيروت، د.ط-د.ت.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، 1936.
- المعجم العربي: نشأته وتطوره، حسين نصار. دار مصر للطباعة، 1408 هـ-1988 م
- المفردات في غريب القرآن، الزاغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د.ت-د.ط.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 1، 1420 هـ-1999 م.
- الدوريات:
- مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الرابع والثلاثون شوال 1394 هـ -نوفمبر 1974 م د / ابراهيم انيس.
- محمد رشاد الحمزاوي: متى يصبح المعجم نظامًا؟ المعجم العربي. إشكالات ومقاربات بيت الحكمة، تونس 1991 م
- المعنى في المعجم، محمد ندوة كلية الآداب بمنوبة، 1992 م من 13 - 26 أبريل 1991 م).
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء 34 (1394 هـ - 1974 م).

الرسائل الجامعية:

- تناسل الدلالات الاشتقاقية للمادة الاشتقاقية، دكتوراه دولة، د. هتي سنية، جامعة السانيا وهران، 2005-2006،

